المشرق

العين الباصرة لروائع القاهرة

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

تاحت لنا رحلة حديثة الى القاهرة فانتهزنا هذه الفرصة لنلقي عليها نظراً عاماً فنعتبر رقيها العجيب الذي اصابتهُ منذ ربع قرن وكنّا حينئذٍ قضينا فيها أياماً فوجدناها من ارقى المدن حضارةً واوفرها خيراً

الّا اننا في رحلتنا الاخيرة ظهرت لنا في حلّة قشيبة من البهاء تفوق كثيراً على بهائها السابق فاحببنا ان نصفها وصفاً اجمالياً اقرّانا ليروا ان الشرق يمكنهُ ان يجاري الغرب في كل رقيّهِ فنعدّد ما حظيت بهِ مصر من ضروب المحاسن دينيّاً وسياسيّاً وماديّاً وادبيّاً واجتماعيّاً

كان سفرنا من بيروت ظهيرة الجمعة ٢ ايلول على سيّارة اصحاب شركة الاصطياف الذين لم يدّخروا وسعاً في كل اسباب راحتنا . وبعد ان بتنا تلك الليلة في ضيافة راهبات الناصرة في حيفا ركبنا القطار في ضحى يوم السبت فقطعنا ببضع ساعات تلك الطريق العتيقة التي قطعتها ببضعة اسابيع جيوش الدول القديمة وقطعها ابراهيم الخليل عند نزوله الى مصر وقطعتها العائلة المقدسة عند هربها من سخط هيرودس وطلبهِ المسيح الطفل ليفتك بهِ . فكانت سلسلة التواريخ تتمثّل لبالنا من عهد الفراعنة والبابليين واليونان والرومان الى العرب والاتراك المحدثين الذين ساقهم جمال باشا لفتح مصر فعاد بالخيبة مخذولاً . فانّ مجرّد اسماء بقايا المدن الساحلية الفلسطينية كلُدّ وغزّة وعسقلان وأشدود أحيت في ذكرنا مآثر الصليبيين التي يرونها مفصّلة في

تواريخهم وجدَّدها نابوليون في حملته على سوريَّة

ما قطعنا قناة سويس عند القنطرة حتى دخلنا في عالم جديد تلوح مظاهره في كل انحاء البلاد رائعًا تتجلى خصوصاً في القاهرة

١ الدين في مصر

انَّ للدين في مصر مقاماً جليلًا وذلك بفضل الحرِّيَّة التي تمنحها الحكومة الرشيدة لسائر رعاياها لعلمها انَّ رقيَّ الدين لمما يكسب الدولة رونقاً وقوَّة وانهُ الركن الحصين والاساس المتين في نهضة الشعوب لها في ذلك اسوةٌ في تاريخ الامم السالفة التي تُرى آثار دينهم في كلّ انحاء البلاد وتنطق بها عاديَّات متاحفهم الفريدة

وقد سُرِرنا خصوصاً لما عاينَّاهُ من ترقي الدين الكاثوليكي الذي لا يكاد يخلو حيٌّ من احياء القاهرة من بعض آثاره . فانَّ للطوائف الشرقيَّة وللمرسلين اللاتين ورهبانهم ورواهبهم عدد من الكنائس والمصلّيات يربي على الثمانين . وتمتاز الكنائس الجديدة بحسن هندستها وجمال هيئتها ورونق طقوسها تزدحم فيها جماهير المؤمنين في أيَّام الآحاد والاعياد حتى تضيق بهم مع سعتها . وذلك مما يبهج القلوب ويدلّ دلالة واضحة على غيرة الاساقفة الاجلّاء ورعاة الكنائس الذين سنناهم يشكرون الله على ما يعاينون من اقبال المؤمنين على اعمال التقى ومواظبة الاسرار

وفي معظم هذه الكنائس اجتماعات تقويَّة واخويَّات تحيي في قلوب المسيحيين روح الدين والعبادة . منها للرجال ومنها للنساء وبعضها للشبان وغيرها للفتيات ومنها لطبقات خاصَّة من الشعب . وتُقام سنويًّا في الكنائس المذكورة الرياضات وتلقى المواعظ والمحاضرات الدينيَّة . ومما ساعد على ذلك النموّ الروحي سعي ارباب الدين بتوثيق روابط الحبّ والاتحاد بين الطوائف الكاثوليكيَّة وقد عُقدت لذلك بعض الاجتماعات التي ابهجت القلوب وثلجت لها صدور العموم

ومن فضل الدين ما أُنشئ في مصر من المشروعات الخيريَّة في كل الطوائف والملل من مستشفيات ومستوصفات وملاجئ ومياتم وعيادة مرضى وتوزيع اطعمة على الفقراء فانَّ جمعيَّة مار منصور وحدها لها عشرون فرعاً يُعنى بها افاضل الكاثوليك . ولعلّ ذلك كان سبب قلَّة من وجدناهم يستعطون في الشوارع

ولا يُنكر ما للمرسلين الاوربيين من المساعي الشريفة والمشروعات المتينة لتعزيز الدين بما امكنهم من الوسائل . وقد اقرَّ لنا غير واحد انَّ الرقيَّ الديني منذ خمسين سنةً كان غالباً بفضلهم ولذلك ترى العموم متشبثاً بحبهم ولمثل الحبر الاعظم بينهم كلَّ تجلَّة واكرام

وعدد الكاثوليك في مصر من روم كاثوليك وموارنة وارمن وسريان واقباط وكلدان ولاتين قريب من الاربعين الفاً ومع قلَّة عددهم بالنسبة الى عدد اهل القاهرة البالغ مليوناً من النفوس لهم في القاهرة مركز ممتاز يقرُّ لهم جلالة الملك بخدمهم المديدة للوطن وقد اثنى عليهم في زيارته مؤخرًا لقداسة الحبر الاعظم في الفاتيكان

والقبط الاورثذكس اوفر عدداً من الكاثوليك لكنهم دونهم رقياً وتهذيباً . وقد أُصيبوا قبل بضعة اسابيع بوفاة بطريركهم كيرلُّس الخامس . والاحزاب المتباينة حتى الآن لم تتَّفق على انتخاب خلفٍ له

ومثلهم اليونان والروم الاورثذكس الذين تفصلهم الجنسيَّة فلا يستطيعون ان يتَّفقوا على تحقيق اغراضهم القوميَّة . وذلك ما اشتهر خصوصاً في الاسكندريَّة

٢ السياسة في مصر

القاهرة حاضرة مصر هي ايضاً محور سياستها . كل يعلم ما جرى بين دولة الاحتلال البريطانيَّة والدولة المصريَّة من الخلاف والنزاع الذي افضى اليوم الى استقلال مصر حالياً وان لم يبلغ الى كل ما يحلم به ذوو الحزب الوطني الذي أُصيب في هذه الايام بوفاة زعيمه الاكبر سعد باشا زغلول . ومن يتجوَّل اليوم في شوارع مصر يجد كلَّ جرائدها ومجلَّاتها حافلة بذكر ذاك الرجل الفريد وصوره في كل هيئاتها والوانها الزاهية بين ايدي القرَّاء . وباعة الصحف ربما يُقام له تمثال خاص يزين احدى ساحات المدينة ويُطلق اسمهُ على احد شوارعها وهم يقيمون له اليوم مشهداً فخماً على طراز جامع بين الفنّ المصري القديم والشرقي الحديث رسمهُ احد المهندسين الاقباط . وما لا ينكر انَّ الرجل جاهد الجهاد الحسن في تحرير وطنه وانَّما يصعب ان يقوم مقامهُ رجلٌ يشبههُ تفانياً في حبِّ امَّته مع بلاغة خلَّابة وحسن نظر في الامور السياسيَّة . وقد اقرَّ له اعداؤهُ السياسيُّون بسجاياهُ الفريدة وان نسبوا اليه التطرُّف في

مطاليبه . والحزب الوطني قائم قاعد لانتخاب خلف للزعيم الراحل . والشائع انهم ينتخبون مصطفى النحاس من غلاة المتطرفين فان وقع عليه الانتخاب ولم يلزم خطة الاعتدال عرّض بوطنه لمشاكل جديدة

وما لا ينكرهُ العقلاء من المصريين انَّ بريطانية العظمى مع عظم مطامعها في تولّيها على مصر قد ادّت لهذا القطر خدماً لا يقدّر ثمنها . وانَّ رقي مصر منذ ٤٦ سنة يرجعهُ الى الدولة الانكليزيّة في قسمها الصالح . كفى شاهداً على الامن ما تمتّعت به الاصقاع المصريّة من الامان وما أُنشئ فيها من المشاريع العظمى كخزّان اسوان وغير ذلك ممّا اغنى مصر صناعةً وزراعة وتجارة . وليلُ رحلة جلالة الملك الاخيرة الى عاصمة الانكليز تزيل ما بقي في سماء السياسة من السُحب المظلمة فتُعقد معاهدة تراعي مصالح الدولتين

٣ الرقي المادّي

انَّ رقيَّ مصر المادّي يلوح لكلّ ذي عين . يؤخذ من احصاء النفوس الاخير مع معدّل نموّ السكّان سنوياً ان القاهرة اليوم تحتوي على ما ينيف على مليون من الاهلين فاصبحت من جملة امّهات المدن في سائر العمور . ولعمري انَّ الذي يطوف شوارع المدينة مشياً يقضي الساعات الطوال قبل ان يقطعها طولاً او عرضاً . والسكك الحديديّة وقطارات الترامواي والسيّارات المتنوّعة متواصلة دون انقطاع وهي دائماً حافلة بالرُكّاب يزدحمون في بعضها ازدحام السمك المكبوس . والاشغال البنائيّة لا تنقطع ترى الابنية كافخم ما يُرى في باريس او لندن . وكثيرٌ منها متعدّد الطبقات الى ثماني او عشر طوابق بالسمنتو وتتناوب المعاهد على طُرُزها المختلفة فبعضها شرقي وبعضها غربي وبعضها على الطراز القديم او طراز بعض الاصقاع الجائيّة كالقصر الذي ابتناهُ مؤخّراً نيافة القاصد الرسولي السيد كاسولو قبل وداعه لمصر على نفقة الكرسي الرسولي كدار للقصادة في حاضرة القطر المصري فانهُ مثالٌ لطيف من الهندسة الفلورنتيّة البديعة التي تأخذ بالابصار

وقد اتّسعت المدينة اتساعاً غريباً حتى كادت المباني تقارب الاهرام مع بعدها وتمتدُّ ضواحيها الى حلوان واضحت بعض احيائها الجديدة مدناً كبيرة كالجيزة

وهليوبوليس . وتجارتها نافقة كما يستدلُّ عليه من عدد لا يُحصى من المصانع والمخازن والمتاجر والحوانيت تبهر العيون بضروب مرافقها ومبيعاتها المجلوبة من كل انحاء العمور . ويُعنى المهندسون بتنظيم الساحات والمتنزهات العموميَّة بحيث يمكن المصري وهو في مدينته ان يروّح نفسهُ من عناء الشغل في حدائق قريبة منهُ وهناك الروضة الشهيرة بالتاريخ وفيها مقياس النيل المدقَّق الراقي الى عهد الخليفة المتوكل . وهناك ايضاً جُزُرٌ صغيرة في وسط النيل فيها الجنائن والحدائق الغنَّاء .

والى مصر تتوارد كل محصولات البلاد التي تجاورها من فلسطين والشام وجزيرة العرب وقبرص بل تأتيها من الانحاء البعيدة من الهند واواسط افريقية فتتنفَّع من خيرات ثلاث قارَّات العالم القديم لموقعها في مركزها متصلة بكبار البحور بواسطة ترعتها سويس

على انَّ ذلك الرقي مهما بلغ من الامتداد لا بُدَّ لهُ من قواعد وضوابط لئلَّا يتجاوز الحدود المعقولة ويعرّض الوطن الى انقلابات فاجئة كما جرى في العام الاخير في مسألة الاقطان التي كانت ازمتها ثقيلة على مصر ولم يندمل حتى الآن ذاك الجرح البليغ

٤ الآداب والعلوم في مصر

للدولة المصريَّة عناية خاصَّة في الآداب وحسبك دليلًا على همَّتها انشاؤها الجامعة المصريَّة التي تُلقى فيها الدروس عن تواريخ العرب وفنونهم يخطب فيها رجال متضلّعون من العلوم العصريَّة منهم وطنيُّون ومنهم مستشرقون شهيرون

وفي مصر عدد لا يُحصى من المدارس الثانويَّة التي يستعدّ المتخرّجون فيها لتقدمة الفحص لدى لُجَن خاصَّة تقيمها الحكومة لتنالهم جواز البكالوريا . وكلُّهم يُفحصون على بروجرامات ومواد عيَّنها ارباب الامر . وذلك كما لا يخفى من شأنه ان يُعلي طبقة العلوم بين الناشئة . وقد تعيَّن مؤخرًا بروجرام للفلسفة يحتاج الى تحوير

وقسم كبير من هذه المدارس يتولَّى تدبيرهُ الرسلون اللاتينيُّون كمدرسة العائلة المقدَّسة اليسوعيين ومدارس اخوة المدارس المسيحيَّة او يديرهُ رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة . وما اصابتهُ كل هذه المدارس من النجاح يزيدها اعتبارًا لدى الحكومة ولدى الاهلين

وفي القاهرة المدارس المنوطة بالجمعيات الدينيَّة الاسلاميَّة اشهرها الازهر الذي يقصدهُ طلبة الاسلام من كافَّة الاقطار حتى الهند والصين وجزائر الابحار ويبلغ عددهم على عشرة آلاف. على انَّ سير شيوخهِ واساتذتهِ على طرائق التعليم القديمة والعقيمة قد هيَّجت ذوي النهضة الحديثة وكثيرًا ما طالبوا بالاصلاح وحتى الآن لم تَلُح بوارقهُ. فانَّ من يدخل الازهر ويمعن اساتذتهُ ودارسيهِ يجد حالهُ في عصر لا يشبه شيئاً احوال عصرنا الحاضر من حيث النظام والمعلمين والمتعلمين. ولولا اوقاف الازهر وتوزيع المعاش على كل من يلازمهُ لأهملهُ معظم طالبيهِ وقد ودَّع الحياة مؤخرًا شيخ الجامع الازهر السيد ابو الفضل الجيزاويّ فالامل في خلفهِ للمباشرة بالاصلاح

ومما يساعد على النهضة الادبيَّة في مصر المكاتب الكبرى التي يقصدها الادباء ليستقوا من مواردها وفي مقدَّمتها المكتبة المعروفة سابقاً بالمكتبة الخديوية وهي المكتبة الملكيَّة حاضرًا يتقاطر اليها المئون من الادباء فيقوم بخدمتهم عمَّال نشيطون ذوو لطف ومعرفة. وللمكتبة فهارس مطبوعة منها قديمة ومنها حديثة لكنها مخلَّة من عدَّة وجوه كما بيَّنهُ بعض المنتقدين وقد وجدوا خللًا ايضاً في تدوين الكتب المستحدثة وتنظيمها

وفي مصر مكاتب عربيَّة اخرى قيِّمة التي يُسمح للادباء ان يقتبسوا من انوارها كمكتبة الازهر التي فُتحت للعموم منذ بضع سنوات غير انَّ فهارسها ليست مطبوعة والشغل فيها لا يخلو من المشقَّة. وكذلك حتى الآن لم تجهَّز بكل لوازم الشغل المكتبة التي باعها من الحكومة سعادة الباشا احمد زكي. فهذه المكاتب الوطنيَّة وغيرها لا يستطاع الانتفاع بها ريثما تُعَدّ لاستقبال الضيوف والدارسين

وللجمعيَّات العلميَّة الاوربيَّة كالجمعيَّة الجغرافيَّة والنادي العلمي الفرنسي مكاتب منظَّمة ذات فهارس متقنة يجد فيها الطالب لوقتهِ ما يحتاج اليهِ من المعلومات فضلًا عن انس اصحابها المتسارعين الى خدمته

وكذلك وجدنا مكتبة جناب الوجيه احمد باشا تيمور في شجرة الدرّ حافلةً بالمطبوعات والمخطوطات العربيَّة النادرة التي يندر صاحبها الفاضل ان يوقفها على وطنهِ وهو ساعٍ في تدوين فهرسها على طريقة علميَّة

وفي قصر جلالة الملك مكتبة قيِّمة كان عهد تنظيمها الى المرحوم المستشرق

اوجانيو غريفيني الايطالي الشهير

وكنّا قصدنا دار البطريركيّة القبطيّة الاورثذكسيّة مؤملين ان نطّلع على ما تحويه من المخطوطات النصرانيّة القديمة فوجدناها مقفلة مختومةً بسبب وفاة البطريرك كيرلّس الخامس بطريركهم فأسفنا على ضياع هذه الفرصة . ويا ليت ذوي الهمّة ينشرون قريباً مضامينها فيستفيد منها العموم

وقد كان طلعت بك احد اعيان مصر مغرماً بجمع المخطوطات القديمة فأنفق قسماً كبيراً من ماله على اقتنائها فاختزمتهُ المنيّة مؤخّراً وأُودعت المكتبة في عدّة صناديق والله اعلم بمصيرها

امّا المكاتب المنشأة لبيع الكتب فتردّدنا على كثير منها كمكتبتي الهلال ومكتبة يوسف افندي سركيس ومكتبة المعارف والعرب والسانيّة والاهليّة واكثر ما يقوم بامر هذه المكاتب ادباء الشام

وممّا يساعد في القاهرة على نهضة الآداب ما تزدان بهِ من المتاحف الفريدة حيث تعرض مصنوعات العرب الناطقة بلسان حالها عن رقيّهم الادبي . ففي احدى قاعات المكتبة الملكيّة قد عُرض عدد عديد من المصاحف المنسّقة الملمّعة المزيّنة بضروب النقوش الملوّنة المكتوبة بخطوط اشهر الكتبة ممّا كان يتنافس بهِ سلاطين الدول المصريّة في عهد المماليك . وعُرض معها عدّة تآليف غيرها لمشاهير زمانهم تشهد لهم ببراعة الفنّ

وفي ظهر المكتبة الملكيّة نادٍ واسع الارجاء خُصّ بالمتحف العربي جُمعت فيهِ في نحو عشرين قاعة بنظام عجيب كلّ العاديّات العربيّة وآثار الدول القديمة منذ الفتح الاسلامي . فمن يتجوّل فيها يأخذهُ الاندهاش ممّا اصطنعهُ المصريّون في كلّ فنون الصناعة منها الآنية البيتيّة لكل لوازم البيت كالملابس والاقمشة والطنافس ومنها المصنوعات لكل حاجات الحياة الفردية والاجتماعيّة كاشغال المعادن والجواهر والنجارة والحدادة . ومنها ما هو مختصّ بالحياة الدينيّة وزينة الجوامع والمساجد كالمنابر والمحاريب والسُّرُج الزجاجيّة والقرّاءات القرآنيّة . ومنها ما يختصّ بالاسلحة وضروبها في توالي القرون . وهناك قاعات للكتابات الضريحيّة وما سواها باقلامها العاديّة الآخذة بمجامع القلوب . فبهذا المتحف يحيا في عين الناظر تاريخ مصر العربي بكلّ رونقهِ ومحاسنهِ الفنيّة

وما قولنا بالمتحف المصري الكبير الذي ضاق ثلاث مرّات عما أُودعهُ من الآثار الجليلة المكتشفة في انحاء البلاد - وهو اليوم منذ السنة ١٩٠٠ في قصر النيل في ساحة واسعة الارجاء على واجهتهِ اسماء الذين حلّوا رموز اللغة المصريّة واستخرجوا من بطن الارض تلك الكنوز الادبيّة - وهذا المتحف اشبه ببلد صغير لهُ طابق أسفل وطابق اعلى ينقسم كلاهما الى قاعات لا تُحصى جُمعت فيها بترتيب عظيم آثار مصر منذ اقدم عهدها السابق للتاريخ الى السلالات الفرعونيّة القديمة والوسطى والحديثة فيقيش فيها الزائر مدة يضع ساعات بمعيّة تلك الدول البائدة التي يرى تماثيل ملوكها وجثثهم المحنّطة واثاث قصورهم وجميع المصنوعات التي كانوا يتخذونها لمعاشهم ولملاهيهم وسائر امور حياتهم منذ الولادة الى القبر لا يخلو شيءٌ منها فكأنَّ مصر باسرها كانت رهينة اشارتهم يشتغلون جميعاً ليزينوا بمصنوعاتهم قصور الفرعون فتصبح آية من الجمال حتى اذا حلّ بهم الموت نُقلت تلك الاشغال مع وفرتها الى مدفن الملك لينتفع بها على زعمهم في العالم الآخر حيث يضحي في مصاف الآلهة - ولهذهِ العاديّات البالغة الالوف المؤلفة اوصاف تضيق عنها الكتب الضخمة - وقد نُظمت بينها مكتشفات مدفن توت عنخ آمون وآثارهُ الفريدة وسنعود الى ذكرها ان شاء الله في عدد آخر

وفي مصر العتيقة حيث يوجد مزار ديني وكنيسة قديمة لتذكار العائلة المقدّسة عند فرارها الى مصر من وجه هيرودس أُنشئ منذ ربع قرن متحف آخر قبطي عربيّ فيهِ مجموع ثمين من العاديّات القبطيّة كحلل وآنية التقديس وضروب المصنوعات الفنيّة الجميلة ذات العلاقة بحياة الاقباط في دينهم ودنياهم بينها كتبهم الطقسية المنقوشة بالالوان الزاهية - وليس بعيداً منهُ كنيس لليهود حديث البناء إلّا انَّ فيهِ خزانات غاية في اللطف تُحفظ فيها نسخ التوراة المخطوطة بالحرف العبراني الناصع - وفي احدى كنائس اليهود في مصر وُجدت آثار كتابيّة عبرانيّة قديمة من جملتها نسخة من سفر ابن سيراخ المفقود بالعبرانيّة

ويظهر رقيّ مصر ادبياً برقيّ فنّ الطباعة - فان مطبوعات مصر الحاضرة تجاري بحسنها افضل مطبوعات الشام وكانت سابقاً دونها كثيراً - ولا يكاد يخلو شارع من مطبعة او مطبعتين

والصحافة رائجة اي رواج . فانَّ جرائد مصر ومجلّاتها العربية تنيف على المئتين يقبل على كلّ منها عدد جمّ من القرّاء . وكثير من هذه الصُحف تزينها التصاوير الرائعة المطبوعة طبعاً محكماً بيد الاختصاصيين . ومصر لا تخلو من صنّاع ايطاليين ويونان وارمن من ذوي الخبرة بكل فنون التصوير الحديثة

ويقرُّ المصريُّون انَّ اهل الشام العربي من مسلمين ونصارى كانوا عاملًا في تلك النهضة الادبيَّة التي يمتاز بها اليوم القطر المصري ولولاهم لما بلغت الدوائر الوطنيَّة مقامها الراقي لاسيما بواسطة الصحافة وتدبير شؤون الدولة

امَّا المطبوعات التي يُعنى بها ادباء مصر فكثيرة . منها قسم كبير معرَّب عن الافرنسية او الانكليزيَّة تغلب عليها الروايات الخياليَّة . ويهتمُّ غيرهم بنشر كتب القدماء كما تنشرهُ ادارة المكتبة الملكيَّة والمكتبة السلفيَّة والمطبعة الاهليَّة . وقد حاول البعض وضع التآليف الجدّيَّة بافراغ وسعهم في اتقانها ومنَّا اطلعنا عليه من ذلك كتاب عصر المأمون الذي صرف فيهِ صاحبهُ زمناً طويلًا ليخرجهُ بكل كمالاتهِ وينتظر قريباً صدور القسم الثاني منهُ

ومنَّا اثنينا على حسن طبعهِ لفظاً ومعنى الطبعة الجديدة لكتاب الاغاني التي يقوم بها بعض ادباء الاساتذة فانَّهم اذخروا جهداً ليستوفوا محاسنها بضبطها وتذييلها بالروايات والحواشي . وبا ليتهم قابلوها ايضاً على مخطوطات المكاتب الاوربيَّة ودلُّوا على ارقام الطبعة السابقة تسهيلًا للمعارضة

ومن المطبوعات المنتقاة لدار كتب الخديويَّة الكتابان الجليلان كتاب الاصنام لابن الكلبي والتاج او اخلاق الملوك للجاحظ اللذان عُني بهما جناب الاستاذ احمد زكي باشا فاخرجهما على صورة ضاعفت قيمتها في اعين الادباء . ودونهما تاريخ التوبري نهاية الارب الذي وقعت فيهِ عدَّة اغلاط ولم يقابل على نسخ مختلفة . وقد ظهر منهُ الى اليوم ستَّة اجزاء

امَّا الشعر فان مقامهُ في مصر هو الاوَّل بلا مراء بين كلّ الاقطار التي يسكنها الشعوب الناطقون بالضاد فانَّ نوابغ كالشوقي ومطران وحافظ وابي شادي والبكري وعقَّاد والخطيب قد اكسبوا وطنهم المصري فخراً لا رجاء ان ينزعهُ عنهُ قريباً منافسوهُ

ومنَّا يقال بالاجمال انَّ مصر بتركزها ورجالها واشغالها هي اليوم تمثل العالم العربي

وتمشي في مقدمته ولا تخجل ان تستعير من الغرب محاسنهُ مع حفظها على وجداتها الخاص فعساها ان تكون جامعة البحرين ورابطة العالمين

٥ الحياة الاجتماعية

كانت مصر منذ اقدم عهدها مستعدَّةً لتبقى في جوار نيلها الذي عليهِ معوَّل حياتها المادِّيَّة فكان النيل سبب حياتها الاجتماعيَّة وانضمام قوى اهلها لردّ غارات اعدائها لولا ضعف ثغورها في طرفيها جنوباً وشمالاً فكان اعداؤها يزحفون عليها بخيلهم ورجلهم فيدوّخونها ويدُّون عليها حكمهم فترى بين ملوكهم سلالات غريبة من السودان والساميين الى عهد البطالسة والرومان والعرب والاتراك

ومع هذه التقلُّبات السياسيَّة بقي الشعب الوطني المصري متراحماً مندمجاً في عيشتهِ الاجتماعية . وقد اختلطت بهِ في توالي الاجيال عناصر مختلفة من الزنوج والنُّوبة وقبائل العرب ثم الاتراك ومن يتبيَّن اليوم صورهم وهيئاتهم يفرزهم حالاً عن الاقباط ابناء الارض المصريَّة العريقة بالقدم

على انَّ العيشة الاجتماعيَّة مع اختلاف هذه العناصر لم تظهر آثارها قديماً وكان الفراعنة وكبار دولتهم كانوا لا يعبأون للشعب فيستعبدونهُ لكافَّة اعمالهم ولاسيما الشاقَّة منها كبناء الاهرام وتشييد القصور وجرّ الاثقال وفلاحة الارض

ولم تتحسَّن احوال العامَّة في العهد العربي باستبداد الملوك وتسخير الشعب لسائر الاعمال المضنكة . بينهم وبين السلطان وامرائهِ بونٌ عظيم وقد ابتدأ تحرُّر الشعب المصري في اواسط القرن السابق بدخول مصر في طور الدول المستحدثة ولاسيما عند الاحتلال الانكليزي فعمَّ العدل جميع الافراد دون مراعاة للوجوه

ومنذ اتَّسعت المدنيَّة الحديثة وتعدَّدت المدارس عرف المصري حتى من ذوي الطبقات السفلى انَّ لهُ حقوقاً قد حتَّم النيَّة على صيانتها واخذ ينظر الى البريطانيين نظرهُ الى اعداء وطنهِ . ولعلَّهُ لو اصاب ما حلم بهِ لن يلبث ان يأسف على ما فاتهُ فتضيع تلك الحقوق عند ذوي جنسيَّتهِ

وها قد بلغت مصر اليوم الى الحياة الدستوريَّة فستختبر قريباً حلوها ومرَّها . وهناك الاحزاب التي تسعى في قطع العلائق مع بريطانية العظمى . فان لم تسر التروّي والاعتدال اوقعت البلاد في اخطار جديدة . وبريطانية العظمى كما لا يخفى لا

تستطيع ان تنسى خدماتها الجلّى اصر منذ الاحتلال كما انّها في حاجة الى مراقبة احوالها لوقوعها في طريقها الى الهند. ولا يُنكر انّ مصر تحتاج الى مساعدة دولة قويّة تعينها في ترقيها الاقتصادي. ليست من دولة تجاري بريطانية في سعة تجارتها

وكذلك يجب على المصريين ان يوثّقوا روابط الوحدة بينهم وبين العناصر التي تسكن مصر. فهناك الشركات الاوربيّة الضابطة كثيراً من اشغال مصر والتي بفضلها تجاري المدينة عواصم البلاد. وهناك المهاجرون من يونان وارمن وشوام فاكسبوا مصر بنشاطهم وبراعتهم مقاماً رفيعاً في التجارة والصناعة والحياة الادبيّة بحيث فاقوا بها على كثيرين من المصريين الوطنيين

فعسى تمتزج كل هذه العناصر وتحييهم روح واحدة خدمة الوطن الذي حلّوا فيه تحت رعاية جلالة الملك فؤاد المشبع بمعرفة احوال البلاد مع حبه المخلص لرقي شعبه

مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية

الطوبوي روبر فرنسوا غيرين دي روشه

لحضرة الاب ج. لوبون اليسوعي

في اليوم الثاني من شهر ايلول الماضي احتفلنا لاوّل مرّة بذكر الطوبويين الذين استشهدوا في زمن الثورة الفرنسويّة. وقد سبق الكلام عن اولئك الشهداء وخصوصاً عن المنتسبين منهم الى الرهبانيّة اليسوعيّة (المشرق في عدد شباط ص ١٤٥) كما نُشرت ايضاً ترجمة واحد منهم الطوبوي سالومون من اخوة المدارس المسيحيّة (عدد ايّار ص ٣٣١). وها نحن نورد هنا اخبار شهيد آخر يستحق ذكراً خصوصيّاً كرسل الى بلاد الشرق ألا وهو الطوبوي روبير فرنسوا غيرين دي روشه (Robert-Fr. Guérin des Rochez). وكان للمذكور اخ اصغر منهُ يسوعي مثلهُ يدعى پيار استشهد معهُ في ٣ ايلول ١٧٩٢. وقد استوطن روبير مدينة سالونيك وتعيّن كخادم رعيّتها